خطاب

صاحب الجلالة الملك محمد السادس

ملك المغرب

في

الدورة التاسعة والستين

للجمعية العامة

لمنظمة الأمم المتحدة

نيويورك

24 شتنبر 2014

المطبعة الملكية - الرباط

صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله

جلالة ملك المغرب

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

السيد رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة،
أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والمعالي،
حضرات السيدات والسادة،

يسعدني أن أشارك في الدورة التاسعة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة، التي اقترحتم، السيد الرئيس، كموضوع محوري لها، مسألة التنمية البشرية المستدامة، خاصة بعد سنة 2015.

وهو اختيار وجيه، يندرج في صلب أولويات منظمتنا، ويمثل نقطة تقاطع بين الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، والأمنية والسياسية.

لهذا ارتأيت أن أخصص كلمتي لهذا الموضوع العام، علما أن مواقف المملكة المغربية، من باقي نقاط جدول أعمال الدورة، سيتم اشتعاضها خلال اجتماعات لجان الجمعية العامة، أو في إطار اللقاءات الوزارية، التي ستنعقد على هامشها.

إن تحقيق التنمية المستدامة يعد من التحديات الملحة التي تواجه البشرية، وخاصة ضرورة إيجاد التوازن اللازم، بين مستلزمات التقدم الاقتصادي والاجتماعي ومتطلبات حماية البيئة، وضرورة الحفاظ على حقوق الأجيال القادمة.

وإدراكا منا للطابع الحاسم لهذه التحديات، فإننا نعمل على بناء نموذج تنموي متميز، يقوم على القيم الحضارية للشعب المغربي، وخصوصياته الوطنية، وعلى التفاعل الإيجابي مع المبادئ والأهداف الدولية في هذا المجال.

فقد تمكن المغرب من بلورة مبادرة وطنية رائدة، للنهوض بالتنمية البشرية، وبرامج طموحة في مجال الطاقات المتجددة، وخاصة الشمسية والريحية، باعتبارها عماد التنمية المستدامة.

ولكنني لست هنا اليوم لأستعرض عليكم تجربة بلدي، وما حققه من منجزات؛ وإنما جئت أحمل نداء، من أجل إنصاف الدول النامية، وخاصة بإفريقيا، والتعامل الموضوعي مع إشكالية التنمية بها.

وكما لا يخفى عليكم، فإن تحقيق التنمية المستدامة، لا يتم بقرارات أو وصفات جاهزة. كما أنه ليس هناك نموذج واحد في هذا المجال.

فكل بلد له مساره الخاص، حسب تطوره التاريخي، ورصيده الحضاري، وما يتوفر عليه من طاقات بشرية، وموارد طبيعية، وحسب خصوصياته السياسية، وخياراته الاقتصادية، وما يواجهه من عراقيل وتحديات.

فما ينطبق على الغرب، لا يجب أن يتم اعتماده كمعيار وحيد، لتحديد نجاعة أي نموذج تنموي آخر. كما لا ينبغي المقارنة بين الدول، مهما تشابهت الظروف، أو الانتماء لنفس الفضاء الجغرافي.

لذا، فإن أول نداء أتوجه به من هذا المنبر، هو ضرورة احترام خصوصيات كل بلد في مساره الوطني، وإرادته الخاصة، لبناء نموذجه التنموي، لا سيما بالنسبة للدول النامية، التي ما تزال تعاني من آثار الاستعمار.

.../.

حضرات السيدات والسادة،

لقد خلف الاستعمار أضرارا كبيرة للدول التي كانت تخضع لحكمه.

فقد عرقل مسار التنمية بها لسنوات طويلة، واستغل خيراتها وطاقات أبنائها، وكرس تغييرا عميقا في عادات وثقافات شعوبها. كما رسخ أسباب التفرقة بين أبناء الشعب الواحد، وزرع أسباب النزاع والفتنة بين دول الجوار.

فرغم مرور العديد من السنوات، فإن الدول الاستعمارية تتحمل مسؤولية تاريخية، في الأوضاع الصعبة، والمأساوية أحيانا، التي تعيشها بعض دول الجنوب، وخاصة بإفريقيا.

واليوم، بعد كل هذه الآثار السلبية، فإنه ليس من حق هذه الدول أن تطالب بلدان الجنوب بتغيير جذري وسريع، وفق منظومة غريبة عن ثقافتها ومبادئها ومقوماتها. وكأنه لا يمكن تحقيق التنمية إلا حسب نموذج وحيد، هو النموذج الغربي.

ومن هذا المنطلق، يأتي النداء الثاني، الذي أوجهه للمجتمع الدولي: لابد من التعامل بالمزيد من الواقعية والحكمة مع هذه الدول، وتفهم ظروفها، في مساراتها الديمقراطية والتنموية.

لكن بعض الدول الغربية، التي لم تطلب الإذن من أحد لاستعمار بلدان الجنوب، بدل تقديم الدعم اللازم لشعوبها، تتمادى في فرض شروط صارمة عليها، تعرقل مسارها الطبيعي نحو التقدم.

بل إن الدول الغربية، والمؤسسات التابعة لها، لا تعرف سوى تقديم الكثير من الدروس، وفي أحسن الأحوال بعض النصائح، أما الدعم فهو ضعيف جدا، ودائما ما يكون مشروطا.

والأكثر من ذلك، فإنها تطالب دول الجنوب بتحقيق الاستقرار والتنمية، خلال فترة محدودة جدا، ووفق مواصفات محددة ومفروضة، دون اعتبار لمسار هذه الدول، ولخصوصياتها الوطنية.

.../.

إنَّ الاستقرار لنْ يتحقّق بدُون تنمية. كمَا أنَّ التّنمية لن تستقيم بدُون استقرار. وكلاهُما مرتبطٌ باحترام سيادة الدُّول، ووَحْدتها الترابيّة، وثقافة وعادات شعُوبها، وبتمْكينها من ظرُوف العيْش الحُرّ الكريم.

كمَا أنَّ عمَليّة تنقيط وتَصْنيف هذه الدُّول، حسَب المَعايير المُعْتمدة حاليًا، تثيرُ العديد من التّساؤلات.

فقدْ أبانتْ عنْ محْدُوديتها، وعنْ بُعْدها، في الكثير منَ الأحْيان، عنْ وَاقع دُول الجنُوب، وعجْزها عن تقديم صُورة موضُوعيّةٍ، عن مُسْتوى التنمية البشريّة بها.

غيْر أنَّ تقديم المُسَاعدات، رَغْم ضُعْفها، مَع كامل الأسَف، يتمُّ غالبًا على أسَاس هذه التّصنيفات، ويَرتبط بشرُوطها التّعْجيزيّة.

لذا، نَدْعُو لِلاعْتماد الرَّأسْمال غير المادّي، ضمْن المعَايير الرئيسيّة لقياس ثرْوة الدّول وتصْنيفها.

وكمَا أثبتت ذلك الدّراسَات التي قام بها البنْك الدّولي، فإنَّ الرَّأسْمال غيْر المادّي يقُوم على مجمُوعةٍ من المُعْطيات المُرْتبطة بوَاقع عيْش السّكّان، كالأمْن والاسْتقرار، والمَوارد البشريّة، ومُسْتوى المؤسّسات، وجَوْدة الحياة والبيئة. وهي مُعْطيات لهَا تأثيرها الكبير في وضْع السّياسَات العُموميّة.

فتَطوُّر الدُّول لا ينْبغي أنْ يَخْضَع لأيّ تنقيطٍ أوْ تصنيفٍ. وإنّما يجبُ التّعامُل مَعه كمسَار تَاريخيّ، يقوم على التّراكمات الإيجابيّة لكلّ بلدٍ، وتحْترم خصُوصيّاته.

حضرات السّيّدات والسّادة،

إنَّ اسْتحضار الآثار السّلبيّة للمَاضي الاسْتعماري، لا يهْدف إلى محاكمة أيّ كان؛ وإنّما هو دَعْوة صَادقة لإنْصاف دُول الجنُوب، من خلال إعَادة النّظر في طريقة التّعامُل مَعها، ودَعْم مسَاراتها التّدريجيّة نحو التّقدّم.

.../.

وَقَدْ سَبَقَ لِي أَنْ أَكَّدْتُ فِي خِطَابِي بِأَبِيدْجَانْ، فِي فَبْرَايِرَ المَاضِي، بِأَنَّ إِفْرِيقْيَا لَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ لِلْمُسَاعَدَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ، بِقَدْرِ مَا تَحْتَاجُ لِشَرَاكَاتٍ ذَاتِ النَّفْعِ المُتَبَادَلِ.

كَمَا شَدَّدْتُ عَلَى ضَرُورَةِ تَحَرُّرِ إِفْرِيقْيَا مِنْ مَاضِيهَا وَمِنْ مَشَاكِلِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ، وَالاِعْتِمَادِ بِالأَسَاسِ عَلَى قُدُرَاتِهَا الذَّاتِيَّةِ، فِي تَحْقِيقِ تَنْمِيَتِهَا.

وَهُوَ مَا جَسَّدَهُ المَغْرِبُ فِي الاِتِّفَاقِيَّاتِ العَامَّةِ، الَّتِي تَمَّ تَوْقِيعُهَا مَعَ عَدَدٍ مِنَ الدُّوَلِ الإِفْرِيقِيَّةِ الشَّقِيقَةِ.

وَأَخُصُّ بِالذِّكْرِ هُنَا الاِتِّفَاقَ الاِسْتِرَاتِيجِيَّ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالغَابُونِ، فِي مَجَالِ إِنْتَاجِ الأَسْمِدَةِ، وَتَوْجِيهِهَا نَحْوَ البُلْدَانِ الإِفْرِيقِيَّةِ، بِمَا يُسْهِمُ فِي التَّنْمِيَةِ، وَضَمَانِ الأَمْنِ الغِذَائِيِّ بِالقَارَّةِ، خَاصَّةً أَنَّهَا تَتَوَفَّرُ عَلَى خُزَّانٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَرَاضِي غَيْرِ المُسْتَغَلَّةِ، يُمَثِّلُ 60٪ عَلَى الصَّعِيدِ العَالَمِيِّ.

وَهُوَ نَمُوذَجٌ مُتَمَيِّزٌ لِلتَّعَاوُنِ بَيْنَ دُوَلِ الجَنُوبِ، يُبْرِزُ قُدْرَةَ دُوَلِنَا عَلَى النُّهُوضِ بِإِفْرِيقْيَا، بِالاِعْتِمَادِ عَلَى الذَّاتِ، وَاسْتِثْمَارِ المَوَارِدِ الطَّبِيعِيَّةِ لِبُلْدَانِهَا.

وَكَمَا تَعْلَمُونَ، حَضَرَاتِ السَّيِّدَاتِ وَالسَّادَةِ، فَإِنَّ تَحْقِيقَ التَّنْمِيَةِ لَيْسَ مُجَرَّدَ مَشَارِيعَ وَاعْتِمَادَاتٍ مَالِيَّةٍ؛ كَمَا أَنَّ التَّخَلُّفَ لَيْسَ مُرَادِفًا لِدُوَلِ الجَنُوبِ.

فَالمُشْكِلُ لَا يَرْتَبِطُ بِطَبِيعَةِ وَمُؤَهِّلَاتِ الإِنْسَانِ الإِفْرِيقِيِّ. فَقَدْ أَثْبَتَ قُدْرَتَهُ عَلَى العَطَاءِ وَالإِبْدَاعِ، كُلَّمَا تَوَفَّرَتْ لَهُ الظُّرُوفُ المُلَائِمَةُ، وَتَحَرَّرَ مِنَ الإِرْثِ الثَّقِيلِ، الَّذِي خَلَّفَهُ الاِسْتِعْمَارُ.

كَمَا أَنَّ مُشْكِلَةَ التَّنْمِيَةِ بِإِفْرِيقْيَا لَا تَتَعَلَّقُ بِطَبِيعَةِ الأَرْضِ وَالمُنَاخِ، رَغْمَ قَسَاوَتِهِ فِي بَعْضِ المَنَاطِقِ، وَإِنَّمَا بِمَا تَمَّ تَكْرِيسُهُ مِنْ تَبَعِيَّةٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ، وَمِنْ ضَعْفِ الدَّعْمِ وَمَصَادِرِ التَّمْوِيلِ، وَانْعِدَامِ نَمُوذَجٍ تَنْمَوِيٍّ مُسْتَدَامٍ.

وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ تَقْدِيمَ المُسَاعَدَةِ لِهَذِهِ الدُّوَلِ لَيْسَ خِيَارًا أَوْ كَرَمًا، وَإِنَّمَا هُوَ ضَرُورَةٌ وَوَاجِبٌ، رَغْمَ أَنَّ مَا تَحْتَاجُهُ الشُّعُوبُ، فِي حَقِيقَةِ...٪

الأمر، هو التعاون المثمر، على أساس الاحترام المتبادل.

إن الأمر يتطلب توفير الظروف الملائمة، على مستوى الفكر والممارسة، للانتقال من مرحلة إلى أخرى، في المسارين الديمقراطي والتنموي، دون التدخل في الشؤون الداخلية للدول، التي عليها في المقابل، الالتزام بمبادئ الحكامة الجيدة.

السيد الرئيس،
أصحاب الجلالة والفخامة، والسمو والمعالي،

إن العالم اليوم في مفترق الطرق، فإما أن يقوم المجتمع الدولي بدعم الدول النامية، لتحقيق تقدمها، وضمان الأمن والاستقرار بمناطقها، وإما أننا سنتحمل جميعا عواقب تزايد نزوعات التطرف والعنف والإرهاب، التي يغذيها الشعور بالظلم والإقصاء، والتي لن يسلم منها أي مكان في العالم.

وإني لواثق بأن تنامي الوعي من طرف المجتمع الدولي بالتهديدات العابرة للحدود، التي يعرفها العالم، بسبب ضعف التنمية البشرية والمستدامة، إضافة إلى الإيمان بالمصير المشترك للشعوب، سيكون له تأثير كبير في إيقاظ الضمير العالمي، من أجل عالم أكثر أمنا وإنصافا وإنسانية.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.